الكبيرة الحادية و الأربعون : التكذيب بالقدر .

قال ا تعالى : { إنا كل شيء خلقناه بقدر } قال ابن الجوزي في تفسيره : في سبب نزولها قولان أحدهما أن مشركي مكة أتوا رسول ا صلى ا تعالى عليه و آله و سلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية انفرد بإخراجه مسلم و روى أبو أمامة أن هذه الآية في القدرية و القول الثاني : أن أسقف نجران جاء إلى رسول ا صلى ا عليه و سلم فقال : يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر و ليس كذلك فقال صلى ا عليه و سلم : [أنتم خصماء ا] فنزلت هذه الآية : .

{ إن المجرمين في ضلال و سعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر } .

و روى [عمر بن الخطاب عن رسول ا صلى ا عليه و سلم قال : إذا جمع ا الأولين و الآخرين يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون و الآخرون : أين خصماء ا ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار] يقول ا { ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر } و إنما قيل لهم خصماء ا لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها و روى هشام بن حسان عن الحسن قال : و ا لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه ا على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر و روى مسلم في صحيحه [من حديث ابن عمر قال قال رسول ا صلى ا عليه و سلم : كل شيء بقدر حتى العجز و الكيس] و قال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال ا تعالى : { و ا خلقكم و ما تعملون } .

قال ابن جرير : فيها وجهان أحدهما : أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : و ا خلقكم و عملكم و الثاني : أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى : و ا خلقكم و خلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام و في هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة و ا أعلم و قال ا تعالى : { فألهمها فجورها و تقواها } الإلهام إيقاع الشيء في النفس قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها و تقواها و قال ابن زايد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى و خذلانه إياها للفجور و ا أعلم و في الحديث عن رسول ا صلى ا عليه و سلم انه قال : [إن ا من على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته و ابتلى قوما فخذلهم و ذمهم على أفعالهم و لم يستطيعوا غير ابتلاهم فعذبهم و هو عادل] { لا يسأل عما يفعل و هم يسألون } و [عن معاذ ابن جبل Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه و سلم : ما بعث ا نبيا قط و في أمته

قدرية و مرجئه إن ا لعن القدرية و المرجئة على لسان سبعين نبيا] .

و [عن عائشة Bها قالت : قال رسول ا صلى ا عليه و سلم : القدرية مجوس هذه الأمة] و [عن ابن عمر Bهما قال قال رسول ا صلى ا عليه و سلم : لكل أمة مجوس و مجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر و أن الأمر أنف قال : فإذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريء و أنهم براء مني] ثم قال [و الذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل ا ما قبل حتى يؤمن بالقدر خيره و شره] ثم ذكر حديث جبريل و سؤاله النبي صلى ا عليه و سلم قال : [ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن با و ملائكته و كتبه و رسله و تؤمن بالقدر خيره و شره] .

قوله أن تؤمن با : الإيمان با هو التصديق بأنه سبحانه و تعالى موجود موصوف بصفات الجلال و الكمال منزه عن صفات النقص و أنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد و الإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم : .

{ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و هم من خشيته مشفقون } .

و الإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن ا تعالى أيدهم ا بالمعجزات الدالة على صدقهم و أنهم بلغوا عن ا تعالى رسالاته و بينوا للمكلفين ما أمرهم ا به و أنه يجب احترامهم و أن لا يفرق بين أحد منهم و الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة و ما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت و النشر و الحشر و الحساب و الميزان و الصراط و الجنة و النار و أنهما دار ثوابه و عقابه للمحسنين و المسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل و الإيمان بالقدر : هو التصديق بما تقدم ذكره و حاصله ما دل عليه قوله سبحانه { و ا خلقكم و ما تعملون } و قوله { إنا كل شيء خلقناه بقدر } و من ذلك قوله صلى ا عليه و سلم في حديث ابن عباس : [و اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا لك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا عليك رفعت الأقلام و جفت الصحف] .

و مذهب السلف و أئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقا جازما لا ريب فيه و لا تردد كان مؤمنا حقا سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة و ا أعلم .

(فصل) أجمع سبعون رجلا من التابعين و أئمة المسلمين و السلف و فقهاء الأمصار على أن السنة التي توف عليها رسول ا صلى ا عليه و سلم أولها : الرضا بقضاء ا و قدره و التسليم لأمره و الصبر تحت حكمه و الأخذ بما أمر ا به و النهي عما نهى ا عنه و إخلاص العمل و الإيمان بالقدر خيره و شره و ترك المراء و الجدال و الخصومات في الدين و المسح على الخفين و الجهاد مع كل خليفة برا و فاجرا و الصلاة على من مات من أهل القبلة

.

و الإيمان : قول و عمل و نية يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية و القرآن كلام ا نزل به جبريل على نبيه محمد صلى ا عليه و سلم غير مخلوق و الصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور و لا نخرج على الأمراء بالسيف و إن جاروا و لا نكفر أحدا من أهل القبلة و إن عمل الكبائر إلا إن استحلوها و لا نشهد لأحد من أهل القبلة لخير أتى به إلا من شهد له النبي صلى ا عليه و سلم : و الكف عما شجر بين أصحاب رسول ا صلى ا عليه و سلم و أفضل الخلق بعد رسول ا صلى ا عليه و سلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي Bهم أجمعين و نترحم على جميع أزواج النبي صلى ا عليه و سلم و أولاده و أصحابه Bهم أجمعين .

فائدة : فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها : ما لو سخر باسم من أسماء ا أو بأمره أو وعده أو وعيده كفر و لو قال لو أمرني ا بكذا ما فعلت كفر و لو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها كفر و لو قيل له : ألا تترك الصلاة فإن ا يؤاخذك فقال لو آخذني بها مع ما في من المرض و الشدة لظلمني كفر و لو قال : لو شهد عندي الأنبياء و الملائكة بكذا ما صدقت كفر و لو قيل له قلم أظافرك فإنها سنة فقال لا أفعل و إن كانت سنة كفر و لو قال فلان في عيني كاليهودي كفر و لو قال أن ا جلس للإنصاف أو قام للإنصاف كفر و جاء في وجه : من قال لمسلم لا ختم ا لك بخير أو سلبك الإيمان كفر و جاء أيضا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف با فقال أريد أن تحلف بالطلاق كفر و اختلفوا في من قال رؤيتي لك كرؤية الموت فقال بعضهم يكفر و لو قال لو كان فلان نبيا ما آمنت به كفر و لو قال إن كان ما قاله صدقا نجونا كفر و لو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا كفر و لو تنازع رجلان فقال أحدهما لا حول و لا قوة إلا با فقال له الآخر لا حول و لا قوة إلا با لا تغني من جوع كفر و لو سمع أذان المؤذن فقال إنه يكذب كفر و لو قال : لا أخاف القيامة كفر و لو وضع متاعه فقال : سلمته إلى ا فقال له رجل سلمته إلى من لا يتبع السارق كفر و لو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيها بالخطيب فسألوه المسائل و هم يضحكون أو قال أحدهم قصعة ثريد خير من العلم كفر و لو ابتلى بمصائب فقال : أخذت مالي و ولدي و ماذا تفعل كفر و لو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل ألست بمسلم ؟ فقال : لا ـ متعمدا ـ كفر و لو تمنى أن لا يحرم ا الزنا أو القتل أو الظلم كفر و لو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنار فالأكثرون على أنه يكفر و لو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمي صبيانهم كفر و لو قال النصراني خير من المجوسي كفر و لو قيل لرجل ما الإيمان فقال لا أدري كفر و من ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة و هي : لا دين لك لا إيمان لك لا يقين لك أنت فاجر أنت منافق أنت زنديق أنت فاسق و من ذا و أشباهه كله حرام و يخشى على العبد بها سلب الإيمان و الخلود في النار .

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب و السنة إنه أرحم الراحمين .

(موعظة) عباد الله ! أين الذين كنزوا الكنوز و جمعوا و ثملوا من الشهوات و شبعوا و أملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا و فنيت أعمارهم بما غروا به و خدعوا ؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا و جاءهم ملك الموت فذلوا و خضعوا و أخرجهم من ديارهم فلا و الله ما رجعوا فهم مفترقون في القبور فإذا نفخ في الصور اجتمعوا .

(و كيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجموا) .

(و الموت ينذرهم جهرا علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا) .

(و النار ضاحية لابد موردهم ... و ليس يدرون من ينجو و من يقع) .

(قد أمست الطير و الأنعام آمنة ... و النون في البحر لا يخشى لها فزع) .

(و الآدمي بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع) .

(حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا ... و خصمه الجلد و الأبصار و السمع) .

(و إذ يقومون و الأشهاد قائمة ... و الجن و الأنس و الأملاك قد خشعوا) .

(و طارت الصحف في الأيدي منتشرة ... فيها السرائر و الأخبار تطلع) .

(فكيف بالناس و الأنباء واقفة ... عما قليل و ما تدري بما تقع) .

(أفي الجنان و فوز لا انقطاع له ... أم في الجحيم فلا تبقي و لا تدع) .

(تهوي بسكانها طورا و ترفعهم ... إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا) .

(طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغني و لا جزع)